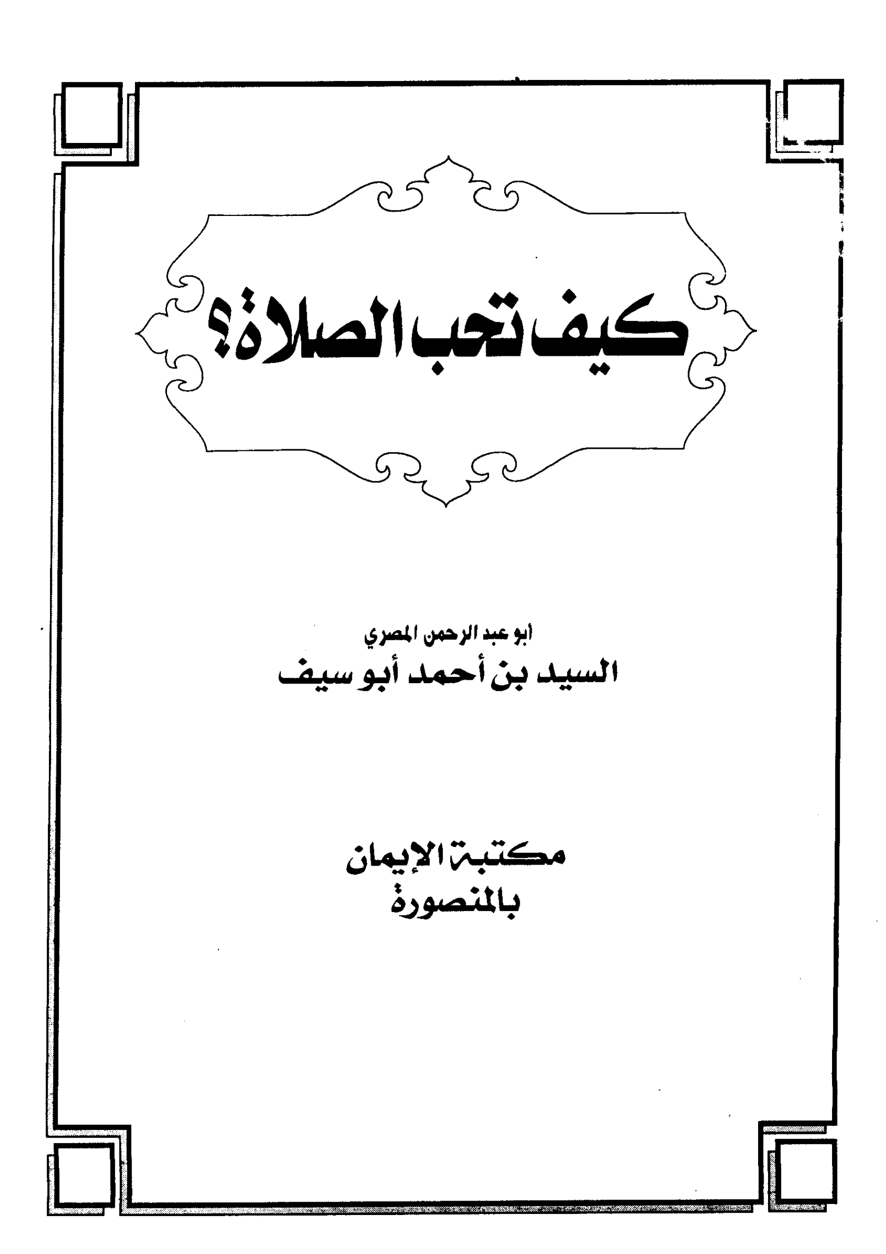


كيف تحب الصلاة؟

أبو عبد الرحمن المصري

السيد بن أحمد أبو سيف

مكتبة الإيمان

بالمنصورة



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلن تجد له وليًا مرشدًا.

أما بعد...

إن أهم عمل في الإسلام هو: الصلاة، وإنها من أشق الأعمال، وقد يتعجب القارئ من قولي: إنها أشق عمل في الإسلام، ولكن هي كذلك بالفعل؛ لذا طلب مني بعض الأشخاص أن أكتب في موضوع الصلاة، وذلك ليتعلموا كيف يصلون، وما الذي يقولونه في الركوع والسجود؛ ذلك لأنهم يخشون أن يسألوا عنها، خاصة وأنهم أصبحوا في سن يتحرجون فيها من السؤال، وهم إلى الآن لا يعلمون الفرق بين كلمة الفرض والنفل.

نعم ، والله! لقد قابلت أكثر من شخص لا يعلم أي شيء عن الصلاة، فهممت بكتابة هذه الرسالة البسيطة لعلها تنفع المسلمين، وتكتب في ميزان حسناتي.

والله أسأل أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم.

أبو عبد الرحمن المصري
السيد بن أحمد أبو سيف
منية سمنود - دقهلية - مصر
محمول: ٠١٢٢٥١١٢٠٣

• • ما معنى الصلاة • •

الصلاة : في اللغة بمعنى الدعاء[1].

وسميت هـٰذه العبادة الشرعية باسم الدعاء لاشتمالها عليه[2].

والدعاء هو العبادة؛ حيث إن العبادة هي الخضوع، والالتجاء إلى الله في الشدائد، والاستعانة بالله في كل شيء، والتوكل عليه، والدعاء هو الذي يعبر عن ذلك.

وإن الدعاء هو السر بين العبد وربه، ولو يعلم الإنسان ما في الدعاء؛ ما تركه ليل نهار، وللزمه، وكفى بالدعاء أنه ذكر لرب العالمين، وإقرار من العبد بأن الله هو القادر على العطاء.

والعبادة هي : التذلل لله ـ عز وجل ـ بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه، محبة وتعظيمًا، وإجلالاً لله، وخضوعًا له ، وحب التذلل لله وحده.

فإنك إن عرفت ربك؛ فقد استرحت من هموم الدنيا، وإذا استعنت به؛ أعانك على كل مكروه، وجعل لك الصعب سهلاً، والمر حلوًا.

فلله العظمة ، والعزة، فهذا إلـٰهنا الحق، المعبود، المتفرد بصفات

---

(١) انظر «المعجم الوجيز».

(٢) «سبل السلام» (١/١٠٦).

الكمـال، المنزه عن النقص، رب المغـفـرة، رب التـوبة، فـتبـارك الله رب العالمين.

فانظر - أيها العبد الفقـير إلى ربك - إلى حال مولاك وخالقك، «تأمل خطابَ القرآن، تجد مَلِكًا له الملكُ كلُّه، وله الحمـدُ كلُّه، أزمّةُ الأمور كلّها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، مستويًا على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافـية فى أقطار مملكته، عـالمًا بما فى نفوس عـبيده، مطلعًـا على أسرارهم وعلانيـتهم، منفـردًا بتدبيـر المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنـع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويُحيى، ويقدر، ويقضي، ويدبر الأمورَ، نازلةً من عنده دقيـقها وجليلها، وصاعدةً إليـه لا تتحرك فى ذرة إلا بإذنه، ولا تَسقط ورقةٌ إلا بعلمه.

فتـأمل كيف تجـده يثني على نفسـه، ويمجِّد نفـسه، ويحـمد نفـسه، وينصح عباده، ويـدلّهم على ما فيه سعـادتهم، وفلاحهم، ويرغِّبـهم فيه، ويحذِّرهم مما فيه هلاكُهم، ويتعرف إليهم بأسمائه، وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه، وآلائه، فيـذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجـبون به تمامها، ويحذِّرهم من نِقـمه، ويذكرهم بمـا أعد لهم من الكرامة، إن أطاعـوه، وما أعد لهم من العـقوبة، إن عـصوه، ويخبـرهم بصنعه فى أوليـائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء، وهؤلاء»[1].

«القرآن كلام الله، وقد تجلـى الله فيه لعباده بصفاته، فـتارةً يتجلَّى فى جلبـاب الهيـبة والعظمـة والجلال؛ فـتخـضع الأعناق، وتنكسر النـفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكِبر، كما يذوب الملح فى الماء، وتارةً يتجلى

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (صـ ٢٧ - ٢٨).



فى صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء ، وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدال على كمال الذات، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله ، ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغًا إلا من محبته، فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أَبَى قلبُه وحشاؤه ذلك كلَّ الإباء، كما قيل:

يُراد من القلب نسيانكم

وتأبى الطباعُ على الناقلِ

فتبقى المحبة له طبعًا لا تكلُّفا، وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله ، وقوي طمعه، وسار إلى ربه، وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوي الرجاء جَدَّ فى العمل ، كما أن الباذر كلما قوى طمعُه فى المغلِّ غلق أرضَه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر فى البذر.

وإذا تجلى بصفات العدل ، والانتقام ، والغضب ، والسخط، والعقوبة، انقمعت النفس الأمارة ، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة، والغضب، واللهو واللعب، والحرص على المحرمات، وانقبضت أعنة رعوناتها، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي ، والعهد، والوصية، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب وشرع الشرائع، انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره، والتبليغ لها، والتواصي بها، وذكرها وتذكرها ، والتصديق بالخبر ، والامتثال للطلب، والاجتناب للنهي.

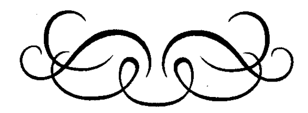
وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم؛ انبعثت من العبد قوة الحياء،

فيستحي من ربِّه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه، فتبقى حركاته ، وأقواله، وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ، ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب ، والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم ، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم؛ انبعثت من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه، والرضا به، وبكل ما يجريه على عبده، ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه، والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله، وحسن اختياره لعبده، وثقته به، ورضاه بما يفعله به ، ويختاره له.

وإذا تجلى بصفات العزِّ والكبرياء، أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته ، والانكسار لعزته ، والخضوع لكبريائه ، وخشوع القلب والجوارح له؛ فتعلوه السكينة، والوقار في قلبه ، ولسانه، وجوارحه، وسَمْتِه، ويذهب طيشه، وقوته ، وحدته»[1].

واعلم أن الصلاة هي أدق الأسرار بين العبد وربه، حيث إن الصلاة هي الحديث المباشر بين العبد وبين الله، فإنك حين تقرأ القرآن في الصلاة، فذاك هو خطاب الله، وعندما تدعوه فهـذا خطابك، وما أجلها من عبادة، يكلم فيها العبد ربه.



(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (صـ ٦٣ ـ ٦٤).



لماذا نصلي؟

إن الصلاة قد فرضت على بني آدم؛ لتطهر بني آدم من خطاياهم، ولكي تساعدهم على نيل أعلى درجات الجنة، فإن الله الحليم الكريم، قد أمرنا بالصلاة لا لنتعذب بها، ولا لنرهق أنفسنا بها، ولكن لنستريح بها، وتكون الملجأ لنا في الشدائد، وهي تكفر عن السيئات التي يقع الإنسان فيها في يومه، ولولاها لكانت تلك السيئات كفيلة بأن تطرحه في النار، ولكن الصلاة جعلها الله لكي تغسلنا من السيئات والذنوب والمعاصي، فقد قال رسول الله ﷺ : «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[1]، فانظر إلى حالك - أيها العبد - فمن في حاجة إلى أن تُغفر له سيئاته، ألست أنت. فلهذا فرضت الصلاة، فهي تهدم ما تقترفه من السيئات والذنوب، وقد قال رسول الله ﷺ : «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فما يبقي ذلك من الدنس؟**»[2] قالوا: لا شيء، قال ﷺ : «**إن الصلوات الخمس يذهبن بالذنوب كما يذهب الماء الدرن**[3]»[4].

وبهذه الصلاة يكون لك عند الله عهدٌ بأن تدخل الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ : «**خمس صلوات كتبهن الله على العبد فمن جاء بهن، ولم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن؛ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**»[5].

---

(١) «صحيح الجامع» (٣٨٧٥).

(٢) «صحيح الجامع» (٥٨٣٠)

(٣) الدرن: الوسخ. (٤) «صحيح الجامع» (١٦٦٨).

(٥) خرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت، =

والصلاة هي أحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ لذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال قال: «**الصلاة لمواقيتها**»[1].

والصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد، فإن كانت تامة، كانت سببًا في قبول سائر عمله، وإن كانت ناقصة كانت سببًا في رد سائر عمله، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله: الصلاة. فإن صلحت؛ فقد أفلح أنجح، وإن فسدت؛ فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك**»[2].

ومن أراد أن يرافقك رسول الله ﷺ في الجنة، فعليه بكثرة الصلاة، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال ﷺ: «**أعني بكثرة السجود**»[3]. أي: بكثرة الصلاة.

فهذه هي الصلاة التي يتثقلها الكثير من الناس، ولا يؤدونها، فهي التي ترفع درجاتهم، وهي التي تجعلهم يرافقون محمدًا ﷺ في الجنة، وهي التي تكفر السيئات وتمحوها، وهي الدعاء، وهي السر والمناجاة بين العبد وربه.

❑ ● ❑

= وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٤٣).

(١) متفق عليه.

(٢) «صحيح الجامع» (٢٠٢٠).

(٣) «صحيح الجامع» (٤٠٥٠).

• • كيف نتم الصلاة؟

إن العبد ليصلي الصلاة، وما يأخذ منها شيئًا، فمن الناس من يصلي، ولكن لا يكون حظه منها إلا التعب؛ ذلك لأنه لم ينل منها حسنات، وقال ﷺ : «**كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب**»[1]. وقال ابن عباس ـ كما أخبر بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه ـ : «**ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها**»[2] ، والسؤال كيف نتم الصلاة؟

والجواب:

إن الله ـ عز وجل ـ فرض الصلاة لكي يذكره العبد، فقال تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. أي: الصلاة شرعت لذكر الله ـ عز وجل ـ لذا فقد وردت آيات بالتحذير من قرب الصلاة للسكران، ذلك أن السكران لا يعلم ما يقول، فكيف يذكر الله؟ إنه يذكره بلسانه، وقلبه غافل، وهو كمن تحدث بآية من القرآن وهو نائم، ولا يعلم ما يقول، فهل يثاب عليها؟! أو كمن رأى منكرًا ولم يأمر بالمعروف، ولم ينه عن المنكر، ثم لما غلبه النوم، تحدث في نومه وقال: هذا لا يجوز، فهل هو آمر بالمعروف في نومه، وهل يثاب على سكوته في يقظته؟! بالطبع لا، فليس للمرء من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجه الله أولاً، ثم مصحوبًا بنية ثانيًا.

وكم من عبدٍ لا يعي ما يقول في الصلاة، ولكنه يحرك شفتاه، ويحرك جسده! والصلاة لم تشرع لذلك، فهل يقبل الله من عبدٍ كلمات لا يعلمها، أو حركات لا يحبها، أو صلاة يستثقلها على نفسه.

---

(١) «صحيح الجامع» (١٦٢٦).

(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الحديث من قول ابن عباس. راجع الفتاوى.

لذا كان العبـد بعد خروجه من الصلاة له من الأجر على قـدر حضور قلبه فـيها، فـمن الناس من يغلب عليه حُضـور القلب، فيأخـذ من صلاته كلهـا، ومن الناس مَن يَصِلُ إلى أن يأخـذ عشـرها، ومن الناس من يكون حظه منها التعب والنصب، فـقال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل لينصـرف، وما يكتب له إلا عـشر صلاته، تسـعها، ثمنهـا، سبعـها، سدسهـا، خمسـها، ربعها، ثلثها، نصفها**»(١).

إذا إتمام الصلاة لا يتحقق إلا بحضور بأمور، ذكرها الإمام الغزالي في «الإحياء» وهي:

حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة ، والرجاء، والحياء.

فأما حضور القلب:

هو أن يفـرغ القلب عن غيـر ما هو مـلابس له، ومتكلم به، فـيكون تفكيره في أقواله ـ أي في أقوال الصلاة ـ ، ولا يكون الفكر جائلاً في الدنيا وأحزانها، وربما يكون القلب حاضرًا مع اللفظ، ولا يكون حاضرًا مع معنى اللفظ، أي: يعلم الكلـمات التي يقـولهـا، ولكنه لا يفـهم ما مـعنى هذه الكلمات، وما السبب في قوله إياها؟!

التفهم:

وليس الناس كلهم يفهمون معاني القرآن والتـسبيحات، وكم من معانٍ لطيفة يفـهمها المصلي في أثناء الصلاة، ولم يكن قـد خطر بقلبه ذلك قبله! فقد يعرض له عارض ، أو يمر بضيق في الرزق، ثم يجد سعة من الله ـ عز وجل ـ فإذا قرأ الفـاتحة، وقال : الحمد لله رب العـالمين، خطر على قلبه ما

(١) «صحيح الجامع» (١٦٢٦).



مر به من ضيق، وما أخلفه الله عليه من سعة، فتخرج الكلمات وهي تملأ الصدر، وهو يفهمها، ويستشعرها تمام الاستشعار، ويقرنها بهذا المأزق الذي مر به، فيكون عنده فهم أن الله يجب أن يحمد.

التعظيم:

والتعظيم هو ما يأتي بعد حضور القلب والفهم، إذ الرجل إذا خاطب ابنه الصغير، وهو حاضر القلب ومتفهم لما يقول، فلا يكون هناك تعظيم لابنه، ولكنها شفقة ورحمة، فالتعظيم مرحلة أخرى يجب أن يستشعرها العبد، فإنك إذا وقفت بين يدي أحد ملوك الأرض، وكنت تعلم شدته وبطشه، فإنك تكون على حذر منه وخوف، وإن كان من الملوك الذين يعدلون فإنك بين يديه تُكِنُّ له كل الإعظام والاحترام.

فهكذا يجب أن يكون الحال مع ملك الملوك، ورب الأرباب، خالق الملائكة، وخالق الأرض والسموات، وخالق الليل والنهار، الجبار، والمتكبر، العزيز، الجبار.

الهيبة:

وهي عبارة عن خوف شديد، ينشأ من التعظيم لله - عز وجل - وليس هذا الخوف كالخوف من ثعبان - مثلاً - أو من سوء خُلق عبد من العبيد، ولكن هذا الخوف مصدره الإجلال والتعظيم.

الرجاء:

كم من الملوك يهابه الناس، ويخافون سطوته، ولكن لا يرجون مثوبته! والعبد يجب أن يكون راجيًا بصلاته ثواب الله - عز وجل - كما أنه يخاف من تقصيره أن يعاقبه الله (عز وجل).

الحياء:

والحياء ينشأ من استشعار العبد بأن هذا العمل - وإن أداه - به نقص أو تقصير، وأنه سيعاقب عليه ولا يثاب.

من هذه الأمور الستة يستطيع العبد أن يصلي صلاة أقرب للخشوع، فإن حضور القلب سببه الهمة، لأن قلبك تابع لهمتك، فلا يحضر إلا فيما يهمك، فإن كانت الصلاة هي همك، فإنك إذا سمعت النداء إليها، تكون قد وجدت ضالتك، وتسعىٰ إليها فرحًا بشوشًا، محبًا لها، أما إن كانت الصلاة لا تهمك، فإنك تسمع النداء، وأنت ساهٍ لاهٍ وربما تستمع إلىٰ الغناء الذي هو من أكبر الآثام والمعاصي، وأي أمر يهمك تجد قلبك حاضرًا فيه شاء أم أبىٰ، فالقلب مجبول علىٰ ذلك، ومسخر فيه.

فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلىٰ الصلاة، وحبها، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقىٰ، وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف هذا إلىٰ حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة.

وكيف لا يكون قلبك حاضرًا عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت، والنفع والضر، فلا تظنن أن له سببًا سوىٰ ضعف الإيمان، فاعمل علىٰ أن تقوي إيمانك.

وإذا حصل عندك حضور القلب، فتأتي بعد ذلك مرحلة التفهم، وصرف الذهن إلىٰ إدراك المعنىٰ وسبيل تحقيق التفهم هو: الإقبال علىٰ التفكر في الله وفي الصلاة، ودفع الخواطر الدنيوية الدنيئة التي تشغل العبد

عن صلاته، وإن أردت أن تعالج الخـواطر وتدفعها عنك، فـاقطع الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها، فمن أحب شيئًـا؛ أكثر ذكره، فذكـر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة؛ لذلك ترى أن من أحب غـير الله لا تصفو له صلاة عن الخـواطر، فاجعل كل اهتمـامك محبة الله ومناجـاته، ويالها من سعادة حين يقف العبد بين يدي ربه ويناجيه!

وإذا تفـهمت انتـقلت إلى مرحلة الـتعظيم، تعظيم الله ـ عـز وجل ـ وهذه الحالة لا تتولد إلا بمعرفتين:

أولاهمـــا: معـرفة جلال الله ـ عز وجل ـ وعظمـته، وهو أصل من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تخضع النفس لتعظيمه.

والأخـــرى: معرفة حقارة النفس وخستهـا، وكونها عبدًا مسخرًا، فإن عـرفت أن النفس حقـيرة، وخـسيـسة، تـولد عندك الاستكانة والانكسار والخشوع لله ـ سبحانه ـ .

وأما إن حققت بذلك انتقلت إلى الرجاء، وسببه معرفة لطف الله ـ عز وجلّ ـ وكرمه، وعـميم إنعامه، ولطائف صنعـه، ومعرفة صـدقه في وعد الجنة بالصلاة.

أما الحيـاء فباستشـعار التقصيـر في العبادة، وعلمه بالعجـز عن القيام بعظيم حق الله ـ عز وجل ـ والمعرفة بعيـوب النفس وآفاتها، وقلة إخلاصها لله، وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العـاجل في جميع أفعالها ، مع العلم بعظيم مـا يقتـضيـه جلال الله ـ عـز وجل ـ والعلم بأنه مطلع على السر، وخطرات القلـب، وإن دقت وخـفـيت، وإن تحـقق ذلك انبـعث منهـا ـ بالضرورة ـ حالة تسمى الحياء.

• • هل حقق هذا الخشوع أحد؟

كان عامر بن عبدالله من خاشعي المصلين، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف، وتحدث النساء بما يردن في البيت، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله، وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟

قال: نعم! بوقوفي بين يدي الله ـ عز وجل ـ ومنصرفي إلى إحدى الدارين.

وكان مسلم بن يسار يصلي وسقط عمود من أعمدة المسجد وهو في الصلاة ، فلم يشعر بها.

وقال عمر بن الخطاب: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله ـ عز وجل ـ .

وكان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تُعرف عليه كآبة الصلاة، أي: شدة خوفه ألا تقبل هذه الصلاة.

• وانظر إلى عبد الله بن الزبير لما زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، فكان إذا أقبل على ربه في الصلاة، نسي كل شيء، وخاف مقام ربه.

عن ثابت البُناني، قال: كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك.

وقال الأعمش: عن يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذام حائط.

وقال غيره: كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ـ أي: يظل يقرأ



القـرآن في الركعـة الواحدة إلـى أن يطلع عليه الصـبح - ويركع ليله حـتى يصبح، ويسجد ليله حتى يصبح.

وقال بعـضهم: ركع ابن الزبير - يومًا - فـقرأت البقرة، وآل عـمران، والنساء، والمائدة، وما رفع رأسه.

وقال ابن المنكدر: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة يصفقها الريح، والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا.

قال سفيان: كأنه لا يبالي به، ولا يعده شـيئًا. وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجرًا من المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقة منه فرمت بين لحـية ابن الزبير وحلقه فـما زال عن مقامـه، ولا عرف ذلك في صورته، فقال عمر بن عبد العزيز: لا إله إلا الله! جاء ما وصفت[1].



(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٣٨).

تعليم الصلاة

١ - استقبال القبلة:

كان رسـول الله ﷺ إذا قام إلى الصـلاة استقـبل الكعبـة في الفرض والنفل، وأمر ﷺ بذلك فقال لـ: «المسيء صلاته»: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر**»[1].

وأما أمر استقـبال القبلة، فيجب على المسلمين جميـعًا أن يحبوا على قبلتهم، وذلك لأسباب :

منهـا: أن الكعبة هي أول بيت بـني على الأرض، قال تعالى : ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومنهـــا: أن الكعبـة هي بيت الله في الأرض، وفي مقابلتهـا البيت المعمور الذي هو في السماء السـابعة، وهو بيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه مرة أخرى.

ومنها: أن هـذا البيت من دخله كان آمنًا، قال تعالى : ﴿**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومنهـا : أن هـذا البيت إذا زاره أحد، فـإنه لا يستطيع أن يفارقه إلا بمشقة على النفس، ويتعلق قلبـه به، ويريد أن يرجع إليه مرات عديدة، قال

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» للعلامة المحدث إمـام العصر الألباني رحمه الله. والحديث في البخاري ومسلم.



تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

ومنها: أن الكعبة رمز للوحدة، والاتحاد بين المسلمين، حيث يتوجه كل مسلم في كل مكان إلى مكان واحد.

ومنها: أن هذا البيت طاهر، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وأعظمها: أن الله يحب هذا البيت، ويحب أن يتوجه إليه المسلمون في صلاتهم؛ وهو الذي اصطفاه لهم، واختاره أن يكون بيته الحرام في الأرض.

ومما يجب أن نعلم عن استقبال القبلة، أنه إذا تعذر على العبد أن يعلم مكان القبلة، أي: إن كان في أرض واسعة، أو بلدة غريبة، أو في ليل شديد الظلام، ولم يعلم أين القبلة، جاز له أن يصلي إلى أي اتجاه، فقد قال جابر رضي الله عنه كنا مع رسول الله ﷺ في مسيرة أو سرية، فأصابنا غيم، فتحرينا واختلفنا في القبلة، فصلى كل رجل منا على حدة، فجعل أحدنا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا، فلما أصبحنا نظرناه، فإذا نحن صلينا على غير القبلة، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فلم يأمرنا بالإعادة، وقال: «**قد أجزأت صلاتكم**»[1].

٢- القيام:

والقيام هو: الوقوف على الأقدام، وقد قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومن لم يستطع أن يصلي قائمًا، فليصل جالسًا،

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ».

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى جالسًا، وذلك في مرض موته[1].

وسئل النبي ﷺ عن الصلاة في السفينة، أو في القارب في الماء، فقال: «**صل فيها قائمًا، إلا أن تخاف الغرق**»[2].

ولا يجوز أن يصلي العبد وأمامه قبر، فقد قال ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**»[3].

٣- النية:

إن النية محلها القلب، فيجب أن يستحضر العبد النية قبل أن يصلي، وتكون هذه النية حاضرة بالقلب، ولا يتلفظ بها بلسانه.

٤- التكبير:

قال ﷺ: «**مفتاح الصلاة: الطهور، وتحريمها: التكبير، وتحليلها التسليم**»[4].

فإذا أراد العبد أن يصلي؛ وجب عليه أن يكبر، أي يقول: الله أكبر، وهذه التكبيرة ما هي إلا الحد الفاصل الذي به يدخل العبد في الصلاة، ولماذا نقول الله أكبر، ولا نقول غيرها ذلك لاستحضار عظمة الله عز وجل، ونعلم أن الله أكبر من هموم الدنيا، وأن الله أكبر من أعمالنا، وأن الله أكبر من كل شيطان مريد، وأن الله أكبر من كل سلطان جائر، وأن الله أكبر من كل شيء، فإذا قلت بقلبك ولسانك وجوارحك: الله أكبر، فقد علمت أن الله أكبر من كل شيء، وأنك في حضرة الإله الأعظم، المستحق للتمجيد،

(١، ٢) «صفة صلاة النبي ﷺ».

(٣) أحكام الجنائز للإمام العلامة الألباني. (٤) «الإرواء» (٣٠١).

فاستحضار صفات الله ـ عز وجل ـ مع التكبير يجعل القلب خائفًا، منكسرًا، مقبلاً على ربه، خائفًا من عقابه، راجيًا ثوابه، قلقًا ، خائفًا راجيًا من الله أن يقبل هذه الصلاة.

فإذا قلت : الله أكبر، وعلمت معنى هذا التكبير، فاعلم أنك قد دخلت المحراب، وأنك في حوار مع ربك ـ عز وجل ـ وأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، ولا يقبل الشركاء، فلا تفكر إلا في خالقك، ولا تدع لفكرك العنان، فتفكر في الدنيا وهمومها، أو في الأولاد، أو الخوف من سلطان جائر، فاعلم أنك بين يدي رب الأرباب، واعلم أنك مُقبل على الله، فاقدر لهذا الوقوف قدره؛ لعل الله أن يتقبل صلاتك.

٥ـ رفع اليدين:

«ورفع اليدين عند التكبير متنوع، فكان رسول الله ﷺ يرفع يديه تارة مع التكبير، أي عند بداية قول الله أكبر، وتارة بعد التكبير، أي: كان يقول: الله أكبر، ثم يرفع يديه، وتارة كان يرفع يديه، ثم يكبر، وكان لا يفرج بينها ولا يضمها»[1].

أي: المسألة في ذلك على السعة، فإن كبرت قبل رفع اليدين، أو بعد رفع اليدين، أو مع رفع اليدين فكله وارد عن النبي ﷺ، وكان لا يفرج بين أصابعه، أي: لا يفتح أصابعه أثناء التكبير، ولا يضمها، أي: لا يفتح ، فكان يتركها على ما هي عليه، مفرجة فرجة بسيطة لا تكلف فيها من زيادة أو ضيق.

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» .



٦ـ وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى:

قال رسول الله ﷺ : «**إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**»[١].

ويجب أن يضع العبد يديه على صدره؛ لأنه ﷺ كان يضعهما على صدره، وقد نهى عن الاختصار في الصلاة، أي: أن يضع المصلي يديه على خاصرته.

ووضعهما على الصدر هو الذي ثبت في السنة، وخلافه إما ضعيف، أو لا أصل له[٢].

٧ـ النظر إلى موضع السجود:

فقد روي عنه ﷺ أنه كان يرمي ببصره نحو الأرض، وأنه لما دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها[٣].

وذلك أقرب للخشوع، لأنه إذا رفع بصره فإنه يرى المارة، ويرى مساحة كبيرة أمامه تجعله يتفكر في أي شيء يحدث أمامه، وربما مر من بعيد أحد أصدقائه فتذكر مسألة من مسائل الدنيا، أو مر أمامه خصم له، فتذكر ما حدث بينهما.

٨ـ أدعية الاستفتاح:

وهي أول كلمات يتلفظ بها العبد بعد أن أقر بالعبودية لله، واعترف أن الله أكبر من كل شيء، فإذا استحضر العبد النية، وقال: الله أكبر، دعا دعاء الاستفتاح كما كان يدعو به رسول الله ﷺ ، فكانت له أدعية نذكر

(١) «صحيح الجامع» (٢٢٨٦).   (٢، ٣) «صفة صلاة النبي ﷺ».



منها: **«اللهم! باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم! نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم! اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد»**[1].

فاليوم نجد العبد إذا صلى الخمس صلوات يستشعر أنه قد فعل شيئًا عظيمًا، وأنه إذا ترك المباراة، أو المسلسل، أو الفيلم من أجل الصلاة، فإنه يستشعر أنه منَّ منًا عظيمًا على ربه، فتجده يخرج إلى الصلاة، وقلبه معلق بالمباراة، أو المسلسل، ويظل يتعجل الصلاة، وإن أطال الإمام، أوشك أن يترك الصلاة، وإن انتهى المسلسل، ولم يشاهد منه إلا القليل، يعقد العزم على ألا يصلي إلا بعد أن ينتهي المسلسل، أو المباراة، ذلك أن المبارة عنده أفضل من الصلاة، وأن المسلسل أفضل من الصلاة، فآثر أن يؤخر الصلاة، لأنها لا تمثل عنده أهمية، ويؤديها - إن أداها - بعد الفراغ من هذه التفاهات العقيمة.

فإن تفكر العبد في هذا الدعاء حين يقوله في استفتاحه للصلاة، فإنه سينسى جميع أعمال الدنيا، ويقبل بقلبه على الآخرة، فإن قال: اللهم! واستشعر عظمة الله، وأنه يناجي ربه، وأن ربه سميع قريب، يجيب الدعاء، عليم، فإنه يشعر بالخوف، فانظر إلى حالك إذا أردت أن يُزاد في أجرك، وذهبت إلى صاحب العمل - من أهل الدنيا - ، فإنك تناديه برفق، وتنظر إليه برفق، وتتلطف معه حتى يرضى عنك، ثم تقول له في خجل وحياء: إنني أريد أن يُزاد في أجري؛ لأنني ... وتذكر حاجتك وحاجة أولادك، وغلو العيش... فها أنت ذا تقف بين يدي رب الأرباب، السميع العليم، الذي يعلم حالك قبل أن تكلمه، الذي ضمن لك الرزق، وتقول:

(١) السابق.

اللهم! ثم تقول: باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، أي: يا رب! أسألك بوجهك الكريم، وبأسمائك الحسنى أن تباعد بيني وبين خطاياي، وذكر الخطايا هنا؛ ليحدث في القلب انكسار، فلو كنت من الذي وقعوا في الزنا، فحين تقول: اللهم! باعد بيني وبين خطاياي، فإن جريمة الزنا تخطر في خاطرك، أو إن كنت ارتكبت أي ذنب، فإنك تتألم من هذا الذنب، وتسأل الله أن يغفر لك، وأن يباعد بينك وبينه، أي: يعصمك من أن ترجع إليه مرة أخرى، فيباعد بينك وبينه في الدنيا بأن يتوب عليك منه، ويصرف قلبك عنه، وفي الآخرة بألا يجازيك به، وأن يغفره به.

ثم يكرر: اللهم! أي: يا رب! أعترف بذنبي، وأعلم تقصيري، فاغفر لي، ونقني، أي: طهرني من هذه الخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، أي: كما كنت في بداية أمري، على الفطرة التي خلقتني عليها، وعلى العمل الصالح، وكان قلبي أبيضًا، فباعد بيني وبين هذه المعاصي التي جعلت هذا الثوب أسودًا.

ثم يقول: اللهم! اغسلني من خطاياي، أي: بعد أن تباعد بيني وبينها، وتحببني في الخير، والطاعة، وتصرف قلبي عن الآثام والمعاصي، فاغسله، حتى لا يتبقى فيه أثر لهذه المعاصي والآثام.

فياله من دعاء كان رسول الله ﷺ يستفتح به صلاته؛ وذلك ليصرف فكره وذهنه عن الدنيا، ويتفكر في وقوفه بين يدي الله - تعالى - ويتذكر خطاياه وذنوبه، فتجعله مقبلاً على الصلاة، خاشعًا فيها، محبًا لها، راجيًا ثوابها.

٩ـ القراءة:

كان ﷺ يقول : «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»[١] .

اعلم أن لفظة «عـاذ» وما تصـرف منهـا تدل على التحـرز والتحـصن والنجاة ، وحقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه . ولهذا يسمى المستعاذ به : معاذًا ، كما يسمى : ملجأ .

وفي الحـديث : أن ابنة الجـون لما أدخلت على النبي ﷺ فـوضع يده عليهـا ، قالت : أعوذ بالله منك فقـال لها : «**لقـد عذت بمعاذ ، الحـقي بأهلك**» [٢] .

فمعنى « أعوذ » ألتجئ وأعتصم ، وأتحرز .

وفي أصله قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الستر .

الآخر : أنه مأخوذ من لزوم المجاورة .

والمستعاذ هو : الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي لا ينبغي الاسـتعاذة إلا به، ولا يستعـاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستـعيذين ، ويعصمهم ، ويمنعهم من شر مـا استعاذوا من شره . وقد أخـبر تعالى في كتابه عـمن استعاذ بخلقه : أن اسـتعاذته زادته طغيانًا ورهقًا. فقال حكاية عن مؤمني الجن: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ . [الجن : ٦] جاء في التفسير[٣]: أنه : «كان

(١) السابق.

(٢) رواه البخاري (٥٢٥٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» سورة الجن.



الرجل من العرب في الجاهليـة إذا سافر فأمسى في أرض قفـر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي مـن شر سفهاء قـومه؛ فيبيت في أمن وجـوار منهم حتى يصبح .أي فـزاد الإنس الجن باستعاذتهم بـسادتهم رهقًا أي: طغيـانًا وإثمًا وشرا، يقـولون : سدنا الإنس والجن . و«الرهق» في كـلام العرب: الإثم وغشيان المحارم ، فزادوهم بهذه الاستـعاذة غشيانا لما كان محظورًا من الكبر والتعاظم ، فظنوا أنهم سادوا الإنس والجن» .

واحتج أهل السنة على المعتزلة ، في أن كلمات الله غير مخلوقة : بأن النبي ﷺ استـعاذ بقوله : «**أعوذ بكـلمات الله التـامات**»[1]. وهـو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبدًا .

ونظير ذلك : قوله ﷺ : «**أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافتك من عقـوبتك**» [2] . فدل على أن رضاه وعفوه من صفاته ، وأنه غير مخلوق. وكذلك قـوله: «**أعوذ بعـزة الله وقدرته**» [3]. وما استعـاذ به النبي ﷺ غير مخلوق ، فإنه لا يستعيذ إلا بالله ، أو بصفة من صفاته[4].

- **البسملة:**

أما مسـألة البسملة، وما نراه اليـوم من الأئمة، من أن بعضهـم يجهر بها، والبعض الآخـر لا يجهر بها، وكلٌ يدافع عن مذهبه، فـإنها أيسر من يحتد الخلاف عليها، فنقول ، وبالله التوفيق:

(١) خرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) خرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) «صحيح الجامع» للعلامة الألباني (٣٤٦).

(٤) «التفسير القيم» للإمام ابن قيم الجوزية.

روى مسلم **في** «صحيحه» [(١)]: عن أنس قال: «**صليت خلف النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بـ: بسم الله الرحمن الرحيم**».

فبنص هذا الحديث، نجد أن النبي ﷺ كان يستفتح الصلاة بـ: الحمد لله رب العالمين، دون أن يجهر بالبسملة، فمن أخذ بهذا الرأي، وعلم هذا الحديث، وتدين إلى الله - عز وجل - بأن هذا فعل نبيه، وأنه يفعله تقربًا وطاعة، فهو محق، ومعه الصواب.

وأما القول الآخر:

فهو أنه يجب أن يجهر بالبسملة، وذلك لأسباب:

١ - أنها آية من الفاتحة، فتأخذ حكم الفاتحة.

٢ - أنها كتبت في المصحف، ولا يكتب في المصحف إلا القرآن.

٣ - أن سورة التوبة ليس فيها البسملة، مما يدل على أنها ثابتة في غيرها.

٤ - واستدلوا بحديث رواه مسلم في «صحيحه» [(٢)] وفيه قال رسول الله ﷺ: «**أنزلت علي آنفًا سورة فقرأ: ... ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾**» الحديث.

وفيه دلالة على أن البسملة آية من القرآن.

فمن علم ذلك الخلاف، وجد أن كلا الفريقين يستند إلى نص شرعي

---

(١) مسلم (٣٩٨).

(٢) مسلم (٤٠٠)

من رسول الله ﷺ، وأنه ليس بمبتدع ، أو يهوى الخلاف من أجل الفرقة بين صفوف المسلمين.

وعليه، «فإنها آية من الفاتحة ، على قراءة عاصم بن أبي النجود ، والكسائي، وعلى بن حمزة النحوي والكوفيين، وعبد الله بن كثير المكي، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وقالون عن نافع المدنيين، ولا تجزئ الصلاة إلا بها، وأنها ليست بآية على قراءة ورش عن نافع المدني ، وأبي عمرو بن العلاء الشيباني، ويعقوب الحضرمي ، وعبد الله بن عامر الشامي ، وحمزة الزيات الكوفي ، وخلف بن هشام البزار البغدادي.

وقد اختلف في قراءتها عن نافع المدني فقالون قرأها، وورش لم يقرأها فيستحب قراءتها في هذه القراءة في الصلاة اتباعًا للرسول ﷺ ، وهذا القول أقرب للسنة من غيره، وقد جمع الأقوال كلها، والله أعلم بالصواب»[1].

- **القراءة آية آية:**

ثم بعد أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، يقرأ الفاتحة، وكان ﷺ يقطعها آية آية، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . وكانت قراءته كلها يقف على

---

(١) رسالة بعنوان : «مسألة التسمية» لـ : ـ عبدالله بن علي مرشد . ط. مكتبة الصحابة جدة

رءوس الآي، ولا يصلها بما بعدها[1].

وانظر إلى هـذه المناجاة التي تتم بين العبد وربه، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله ـ تبارك في علاه ـ حمدني عبدي، ويقول العبد: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، يقول الله: أثنى علي عبدي، ويقول العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يقول الله ـ تعالى ـ مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، يقول الله: فهذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل[2].

فانظر إلى حالك ـ أيها الضال المغرور ـ انظر إلى حالك وأنت تقرأ الفاتحة، ولا تعلم أن الله يسمعك ويجيبك، بل تقولها، لا تعلم معانيها، فتحمد الله بلسانك، وقلبك غافل، وتثني عليه بلسانك، وقلبك ساهي، وتذكر يوم الدين بلسانك، وقلبك طاغي، لا يتذكر، ولا يستحي من الوقوف بين يدي خالقه، وهو يذكر يوم الدين، يوم العرض على الله، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم الفزع الأكبر، فيذكر بلسانه هذا اليوم، ولا يتذكر قلبه، وذلك قال فيه الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فهؤلاء أضل من الأنعام؛ ذلك أن الحيوانات خلقت لأربعة أشياء لا تتعداها، فهي خلقت لتسبح الله وتعبده، فقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

(١) «الإرواء» (٣٤٣).

(٢) مسلم (٣٩٥).

السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فانظر إلى التسبيح من كل شيء، من الجبال، والحيوان، والطيور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]، أما حال الإنسان، فهو مكابر، معاند لا يذكر الله إلا قليلاً، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فانظر إلى كل شيء، تجده يسبح بحمد الله، فالشمس والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب ـ أي الحيوان والطير ـ كلهم يسجد لله، أما الإنسان فكثير منهم يسجد، وكثير منهم حق عليهم العذاب.

لذا الحيوان الأعجمي أفضل من الإنسان الذي نسي نفسه، ونسي ربه، ووقف بين يدي الله لاه ساه لا يعلم ما يقول، وخلقت الحيوانات للتناكح والتناسل، وقد فعلت، وخلقت لتطيع الإنسان، وتُذلل له، وقد فعلت، فانظر إلى هذا الذي يركب دابة من الدواب، هي تسبح، وهو لا يسبح، هي تسجد لله، وهو لا يسجد لله، هي تخشى الله، وتعلم حقه، وهو مضيع لحقوق الله، ولا يعلم لله حقًا عليه، فأيهما أحق بالحياة، وأيهما أفضل، الذي أعطاه الله التكريم، ورفضه، وأبى إلا أن يكون كالأنعام، أو أضل سبيلاً.

• القراءة خلف الإمام:

إذا كان العبد يصلي صلاة جماعة، وهو مأموم، فلا يجب عليه أن يقرأ بشيء إلا الفاتحة، لأن من لم يقرأ بها فصلاته ناقصة.

وكـان ﷺ قد أجـاز للمؤتمين أن يـقرءوا بهـا وراء الإمام في الصـلاة الجهرية، حـيث كان «**في صلاة الفجـر فقرأ فثقلت عليه القـراءة، فلما فرغ قـال: لعلكم تقـرءون خلف إمـامكم،**» قلنا : نعم! هذًا! ـ أي : بـسرعـة واستـعجـال ـ يا رسـول الله! قال: «**لا تفـعلوا إلا أن يقـرأ أحدكم بـفاتحـة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**».

ثم نهـاهم عن القراءة كلهـا في الجهـرية، أي: نهاهم أن يقـرءوا **في الصلاة الجهرية، التي يقرأ فيها الإمام بصوت مرتفع، وهي الركعتان الأوليان في الفجر والمغرب والعشاء**.

فكان يصلي ﷺ صلاة الصبح، فقال: «**هل قرأ معي منكم أحد آنفًا؟**» فقال رجل: نعم، أنا يا رسـول الله! فقال ﷺ : «**إني أقول: مـا لي أنازع**» أي: أغالب ، قال أبو هريرة: فانتـهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيـما جهر فـيه رسول الله ﷺ بالقـراءة، حين سمعـوا ذلك من رسول الله ﷺ، وقرءوا في أنفسهم سرًا فيما لا يجهر فيه الإمام»[1].

أي: إذا صلوا خلف الإمام وكان يقرأ، فلا يقرأ المأموم، وتكفيه قراءة الإمام ، لقوله ﷺ : «**من كان له إمام فـقراءة الإمام له قراءة**»[2]. وإن كان الإمام في صلاة سرية كالظهر والعصر والركعة الأخيرة من المغرب والركعتين الأخيرتين من العشاء، **فلهم أن يقرءوا في سرهم** .

أما الفاتحة، **فهي** شفاء من الأمراض:

(١) صفة صلاة النبي ﷺ.

(٢) «الإرواء» (٥٠٠).

وأما تضمنها لشفاء الأبدان :

نذكر منه ما جاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة فأما ما دلت عليه السنة : ففي الصحيح من حديث أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري «**أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ مروا بحي من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم فلدغ سيد الحي فأتوا فقالوا : هل عندكم من رقية أو هل فيكم من راق ؟ فقالوا : نعم! ولكنكم لم تقرونا فلا نفعل حتي تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم على ذلك قطيعا من الغنم فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب فقام كأن لم يكن به قلبة فقلنا :لا تعجلوا حتي نأتي النبي ﷺ فأتيناه فذكرنا له ذلك ، فقال : ما يدريك أنها رقية كلوا واضربوا لي معكم بسهم**»[1].

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء هنا مع كون المحل غير قابل إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين أو أهل بخل ولؤم فكيف إذا كان المحل قابلا .

وأما شهادة قواعد الطب بذلك :

فاعلم أن اللدغة تكون من ذوات الحمات والسموم وهي ذوات الأنفس الخبيثة التي تتكيف بكيفية غضبية تثير فيها سمية نارية يحصل بها اللدغ وهي متفاوتة بحسب تفاوت خبث تلك النفوس وقوتها وكيفيتها ، فإذا تكيفت أنفسها الخبيثة بتلك الكيفية الغضبية أحدث لها ذلك طبيعة سمية تجد راحة ولذة في إلقائها إلى المحل المقابل كما يجد الشرير من الناس راحة ولذة في

(١) خرجه البخاري (٢١٥٦) ، ومسلم (٢٢٠١).

إيصال شره إلى من يوصله إليه، وكثير من الناس لا يهنأ له عيش في يوم لا يؤذي فيه أحد من بني جنسه، ويجد في نفسه تأذيا بحمل تلك السمية والشر الذي فيه حتي يفرغه في غيره فيبرد عند ذلك أنينه وتسكن نفسه ويصيبه في ذلك نظير ما يصيب من اشتدت شهوته إلى الجماع فيسوء خلقه وتثقل نفسه حتي يقضي وطره ، هذا في قوة الشهوة وذاك في قوة الغضب.

وقد أقام الله تعالى بحكمته السلطان وازعا لهذه النفوس الغضبية فلولا هو لفسدت الأرض وخربت : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

وأباح الله - بلطفه ورحمته - لهذه النفوس من الأزواج وملك اليمين ما يكسر حدتها .

والمقصود : إن هذه النفوس الغضبية إذا اتصلت بالمحل القابل أثرت فيه، ومنها ما يؤثر في المحل بمجرد مقابلته له وإن لم يمسه فمنها ما يطمس البصر ويسقط الحبل، ومن هذا نظر العائن فإنه إذا وقع بصره على المعين حدثت في نفسه كيفية سمية أثرت بحسب عدم استعداده وكونه أعزل من السلاح، وبحسب قوة تلك وكثير من هذه النفوس يؤثر في المعين إذا وصف له فتتكيف نفسه وتقابله على البعد فيتأثر به ، ومنكر هذا ليس معدودا من بني آدم إلا بالصورة والشكل فإذا قابلت النفس الذكية العلوية الشريفة التي فيها غضب وحمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمية وتكيفت بحقائق الفاتحة وأسرارها ومعانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله وذكر أصول أسمائه الحسنى وذكر اسمه الذي ما ذكر على شر إلا أزاله ومحقه ، ولا على خير إلا نماه وزاده دفعت هذه النفس بما تكيفت به من ذلك أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية فحصل البرء . فإن مبنى الشفاء والبراء على

دفع الضد بضده وحفظ الشيء بمثله، فالصحة تحفظ بالمثل ، والمرض يدفع بالضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقا وأمرا ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة ، وقبول من الطبيعة المنفعلة ، فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية ولم تقو نفس الراقي على التأثير لم يحصل البرء، فهنا أمور ثلاثة :

١ - موافقة الدواء للداء .

٢ - وبذل الطبيب له .

٣- وقبول طبيعة العليل .

فمتي تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولا بد بإذن الله سبحانه وتعالى ومن عرف هذا كما ينبغي تبين له أسرار الرقى براقيها وقبول المحل كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع وهذه إشارة مطلعة على ما وراءها لمن دق نظره وحسن تأمله والله أعلم .

وأما شهادة التجارب بذلك فهي أكثر من أن تذكر ، وذلك في كل زمان ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورا عجيبة ولاسيما مدة المقام بمكة فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة مني وذلك في أثناء الطواف وغيره فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم فكأن حصاة تسقط ، جربت ذلك مرارا عديدة وكنت آخذ قدحا من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مرارا فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء ، والأمر أعظم من ذلك ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين والله المستعان»[1] . اهـ

(١) كلام ابن القيم في «تفسيره» (سورة الفاتحة).

١٠ـ التأمين :

إذا انتهى الإمام من الفاتحة، فيجب على المأموم أن يقول : «آمين».

١١ـ ما يقرأ بعد الفاتحة:

كان ﷺ يطيل القراءة بعد الفاتحة أحيانًا، ويقصرها أحيانًا لعارض سفر، أو سعال، أو مرض، أو بكاء صبي.

ولو قرأ الإنسان بقصار السور، ولكنه تدبر معاني هذه الكلمات التي أنزلها الله ـ عز وجل ـ من فوق سبع سموات؛ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، واستشعر عظمتها، وعظمة قائلها، وما فيها من الخير والنصح والإرشاد؛ لو فعل ذلك لطارت نفسه، وحلقت في آفاق الإيمان، وخلَّفت وراءها الشيطان ونفثه، والنفس وأهواءها، ولارتفعت روحه في عنان السماء، باحثة عن الحق، والفضل، والخير، مبتعدة عن الشر والرذائل كل الابتعاد.

فلو قرأ بسورة الفلق ـ مثلاً ـ ، وتأملها؛ لما عصى الله طرفة عين، وإليك بعضًا مما في هذه السورة العظيمة، حتى إذا قرأتها؛ استشعرت بعض ما جاءت به، لعلك تخشى:

سورة الفلق شفاء من الداء:

في الصحيحين عن عائشة : «**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ: قل هو الله أحد ، والمعوذتين جميعًا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده . قالت عائشة : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به** ».

قلت : هكذا رواه يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . ذكره البخاري [1] .

والفلق ، هو: الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام، وعسكر المفسدين في الليل، فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص ، وكل قاطع طريق إلى سرب أو كنٍّ أو غار، وتأوي الهوام إلى أجحرتها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها.

فأمر الله عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ، ويقهر عسكرها وجيشها، ولهذا ذكر ـ سبحانه ـ في كل كتاب أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور ، ويدع الكفار في ظلمات كفرهم . قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة:٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام:١٢٢] ، وقال في أعمال الكفار: ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور: ٤٠]. وقد قال قبل ذلك في صفات أهل الإيمان ونورهم : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٣٥].

فالإيمان كله نور، ومآله إلى نور، ومستقره في القلب المضيء المستنير،

---

(١) خرجه البخاري (٥٧٤٨).

والمقترن بأهل الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة، والكفر والشرك كله ظلمة، ومآله إلى الظلمات ، ومستقره في القلوب المظلمة، والمقترن بأهل الأرواح المظلمة.

فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة، ومن شر ما يحدث فيها ونزّل هذا المعنى على الواقع يشهد بأن القرآن - بل هذه السورة - من أعظم أعلام النبوة، وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ، ومضاداته لما جاء به الشياطين من كل وجه، وأن ما جاء به ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، فما فعلوه ، ولا يليق بهم، ولا يتأتى منهم، ولا يقدرون عليه.

أما شر النفاثات في العقد.

فهذا الشر هو شر السحر فإن النفاثات : هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط ، وينفثن على كل عقدة ، حتى ينعقد ما يردن من السحر ، والنفث: هو النفخ مع ريق ، وهو دون التفل ، وهو مرتبة بينهما .

والنفث : فعل الساحر ، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفسٌ ممازج للشر والأذى ، مقترن بالريق الممازج لذلك . وقد يساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور ؛ فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري ، لا الأمري الشرعي.

فإن قيل : فالسحر يكون من الذكور والإناث ، فلم خص الاستعاذة من الإناث دون الذكور ؟ .

قيل في جوابه : إن هذا خرج على السبب الواقع ، وهو أن بنات لبيد

ابن الأعصم سحرن النبي ﷺ .

هذا جواب أبي عبيدة وغيره ، وليس هذا بسديد . فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم ، لا بناته ، كما جاء في الصحيح .

والجواب المحقق : أن النفاثات هنا : هنا الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات ، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة ، والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها . فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث ، دون التذكير . والله أعلم .

وقد دل قوله ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر ، وأن له حقيقة.

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم .

وقالوا : إنه لا تأثير للسحر ألبتة لا في مرض ، ولا قتل ، ولا حل، ولا عقد .

قالوا : وإنما ذلك تخيل لأعين الناظرين ، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث . وما يعرفه عامة العقلاء .

والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلا وعقداً وحباً وبغضاً ونزيفاً - وغير ذلك من الآثار - موجود ، تعرفه عامة الناس . وكثير منهم قد علمهم ذوقاً بما أصيب به منه . وقوله تعالى ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ دليل على أن هذا النَفَث يضر المسحور في حال غيبته عنه ، وإن كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرًا، كما يقوله هؤلاء ، لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه .

شر الحاسد إذا حسد :

وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود . فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه ، وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه ، فإن الله تعالى قال ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ فحقق الشر منه عند صدور الحسد . والقرآن ليس فيه لفظه مهملة .

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً ، إلا إذا قام به الحسد ، كالضارب ، والشاتم ، والقاتل ونحو ذلك ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد ، وهو غافل عن المحسود ، لاهٍ عنه ، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه ، فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ، ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه ، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله ، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد .

فقوله تعالى : ﴿**إِذَا حَسَدَ**﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل .

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الصحيح : رقية جبريل النبي ﷺ وفيها : « **بسم الله أرقيك . من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، الله يشفيك** » [1] . فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد .

ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها ، إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه ، كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره ، لم يؤثر فيه شيئاً ، وإنما إذا نظر إليه نظر من تكيفت نفسه الخبيثة وانسمت ، واحتدت فصارت نفساً غضبية خبيثة

(١) صحيح الجامع (٧٠) .



حاسدة ، أثرت بها تلك النظرة ، فأثرت في المحسود تأثيراً بحسب صفة ضعفه ، وقوة نفس الحاسد، فربما أعطبه وأهلكه ، بمنزلة من صوب سهمًا نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلاً . وربما صرعه وأمرضه . والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر .

وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة، وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضت واحتدت فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث ، فتحدث فيها تلك الكيفية السم ، فتؤثر في اللديغ . وربما قويت بتلك الكيفية واشتدت في نوع منها حتى تؤثر بمجرد النظرة ، فتطمس البصر، وتسقط الحبل، كما ذكره النبي ﷺ في الأبتر ، وذي الطفيتين منها. فقال : « **اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر ، ويسقطان الحبل** »[1] .

فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة، إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية ، وانسمت وتوجهت إلى المحسود بكيفيتها ؟ فلله كم من قتيل ؟ وكم من سليب

وكم من معافى عاد مضنيًا على فراشه ، يقول طبيبه : لا أعلم داءه ما هو ؟ فصدق . ليس هذا الداء من علم الطبائع ، هذا من علم الأرواح وصفاتها ، وكيفيتها ومعرفة تأثيراتها في الأجسام والطبائع ، وانفعال الأجسام بها اهـ[2] .

فإذا تبين أن كل هذه المعاني في سورة «الفلق»، فانظر لحالك ـ أيها الغافل ـ حين تقرأ هذه الآيات، ولا تنتفع بها، وتكون مريضًا، ولا

(١) البخاري (٣٢٩٧) ومسلم (٢٢٣٣) .

(٢) كلام ابن قيم الجوزية في «تفسيره» .

تستشفى بها، وتكون مهمومًا، ولا تُسري عنك .

١٢ـ الركوع:

يقول العبد: الله أكبر ، ويركع ، ويقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**» ثلاثًا، وإن زاد إلى إحدى عشر كان أفضل.

«وفي الركوع والسجود، ينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله ـ سبحانه ـ وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله ـ عز وجل ـ من عقابه، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر ذُلَّك وعز مولاك، واتضاعك وعلو ربك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة، وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار»[1].

ويجب أن يطمئن في ركوعه، فلا يتعجل في القيام قبل أن يركع، فتجد اليوم من المسلمين من لا يتم ركوعه، ولا يطمئن فيه، وحذر من ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته**» قالوا: يا رسول الله! وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها وسجودها**»[2].

وانظر إلى هذا الموقف البديع، الذي يقفه العبد بين يدي ربه، وهو يحني رأسه لله رب العالمين، إعظامًا له ، وإجلالاً، ورغبة في ثوابه، ومخافة من عقابه، واعترافًا بأنه لا معبود إلا الله، ولا أحد يستحق أن يُنحنى له إلا الله وحده، فهذا الركوع من أعظم الأوقات التي تتجلى فيها عظمة الله على عباده.

(١) «الإحياء».

(٢) صفة صلاة النبي ﷺ.

وانظر إلى هذا الركوع، وإلى هند زوجة أبي سفيان، فإنها كانت من أشد المعادين للإسلام، وهي التي أكلت كبد حمزة عم رسول الله ﷺ، وهي التي جعلت رسول الله ﷺ يقف في موقف كان من أصعب المواقب عليه، وكان قد عقد العزم على أنه سيمثل - أي: يقطع - سبعين رجلاً من المشركين، وذلك لشدة حزنه على عمه حمزة.

فعندما دخل المسلمون مكة، واصطفوا لكي يصلوا، ورأتهم خاشعين في ركوعهم وسجودهم، قالت: والله! ما عُبد الله بحق إلا اليوم، ثم ما لبثت أن أسلمت.

فهذه هي الهيبة التي كان يهابها المسلمون في الصلاة، فلما رأت هذه المرأة المعاندة، المكابرة، خشوع المسلمين في الصلاة، علمت أن إلههم حقًا هو الإله الذي يستحق العبادة، وغيرت دينها، وأسلمت مع محمد ﷺ.

ويقول في الركوع: «**سبحان ربي العظيم، وبحمده**» ثلاثًا.

أو يقول: «**سبوح قدوس، رب الملائكة والروح**».

ثم يقول: «**اللهم! لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي، وما استقلت به قدمي لله رب العالمين**».

أو يقول: «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**»، ولا يقرأ القرآن في الركوع، ولا في السجود؛ لأن النبي ﷺ نهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود[1].

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ».

ومن الناس من علم أن الركوع ما هو إلا انكسار النفس، وكيف لا، وهو يقف بين يدي الجبار، مالك الملك، ذي الجلال والإعظام، فيحدث في القلب خشية من عذاب الله، وفرحة واطمئنان بالقرب من الله - عز وجل - في علاه.

فتجد اللسان يذكر الله، ويقول: اللهم! أي: ربي وخالقي، ومالك أمري، لك أركع، لك أحني ظهري، لك أتذلل، لك أعترف بذنبي، آمنت بك، وأسلمت أمري إليك، فما يصيبني في سبيلك فهو خير، وما رزقتني به من رزق على ما عندي من المعاصي، فإني لا أستحقه، فأنا الذي يعصاك، وأنت الغافر الرزاق، وأنا الذي يقابل نعمتك بالتمرد، وأنا العبد الخاطئ، وأنت ربي.

اللهم! ما عصيتك استهانة بك، ولا قصرت في الصلاة استهانة بأمرها، ولكنها النفس الأمارة بالسوء، فسبحانك يا ذا الجبروت والملكوت، والكبرياء، فوالله ما عصيتك إلا بشقوتي، واتباعي لعدوك إبليس - عليه لعنة الله - واتباعي لنفسي التي تأمرني بالسوء، وتتقلب علي، وأنا الآن بين يديك ، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي، فأنت رب العالمين.

لذا، كان رسول الله ﷺ يطيل الركوع، وكيف لا، وفيه المناجاة، والاعتراف بالذنب، وطلب المغفرة والصفح، ونرى الآن من الناس من إذا ركع لم يطمئن، ولا يذكر الله في ركوعه إلا قليلاً، فانظر إلى هذا القلب القاسي، الذي يعصى الله، وإذا دخل في الصلاة، استشعر ثقلها، بدلاً من استشعاره الراحة بها، فكان رسول الله ﷺ يحب الصلاة، وكان يقول: «**وجعلت قرة عيني الصلاة**» وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**».

١٣ـ الرفع من الركوع:

والرفع من الركوع، هو: اعتدال بعد انكسار، ورجاء بعد الدعاء، فبعد أن خشع العبد بين يدي مولاه، واستذكر معاصيه، وسأل الله أن يغفرها له، وهو في حالة من الذل والانكسار، والخشوع، والهيبة، والإجلال لله رب العالمين، يقف العبد، ويقول: «**سمع الله لمن حمده، اللهم! ربنا لك الحمد، ملء السموات ، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد**»[1].

ويرجو من الله أن يستمع إليه، أي: يرحمه، ويشفق عليه، ويرحم ضعفه، وذله، وخشوعه، ويثني على ربه، فيقول : ربنا ولك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، وفي ذلك إثبات لله ـ عز وجل ـ بأنه هو مدبر الأمر في السماء والأرض، وأن علمنا قاصر عن أي شيء إلا ما أخبرنا به الله، فلما كان إخباره لنا عن السموات والأرض، فأثبتناه له، وأما : ما شئت من شيء بعد، أي: إن كانت لك مخلوقات غير السموات والأرض، أو خلق آخر تدبر له الأمر، فهذا الأمر لك وحدك يا رب العالمين، لا نعلمه، فأنت علام الغيوب.

وهذا مقام الحمدُ لرب الأرباب، لله رب العالمين، «فإنه يتضمن مدح المحمود ـ أي: الله ـ بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه ـ عز وجل ـ والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له.

لهذا، كان الحمد كله لله، حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته

(١) مسلم (٤٧٦).

وكثرتهـا، ولأجل هذا لا يحصي أحدًا من خلقه ثناءً عليـه لما له من صفات الكمال، ولهـذا ذم الله تعالى آلهة الكفـار، وعابها بسلب أوصـاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تتكلم، ولا تهدي، ولا تنفع، ولا تضر»[1].

وانظر إلى هـذا الرجل الذي كـان يصلي خلف النبي ﷺ فـلما قـال النبي ﷺ : «**سمع الله لمن حمده**» ، استشعر أن الله ـ عز وجل ـ يستمع إلى قـوله، فـأراد أن يثني على الله ـ عـز وجل ـ بما هو أهل له، فلم يجـد من الكلمات إلا أن قال: ربنا! ولك الحمـد، حمدًا كثيرًا، طيبًا ، مـباركًا فيه، مباركًا عليه، كما يحب ربنا ويرضى.

ومع أنها كلمات يسيرة، ليس بها كبير دندنة أو تصنع، أو تكلف، إلا أن معهـا قلبًا عالمًا بما يقول، وعـقلاً ذاكرًا لله ـ عز وجل ـ وفهـمًا لما يقوله اللسان:

فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «**من المتكلم آنفًا؟**» أي: من الذي قال هـذه الكلمات؟ فقـال الرجل: أنا يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ : «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً**»[2].

١٤ـ السجود:

وفي السجود أقرب ما يكون العبد من ربه، فانظر إلى هـذه الهامات ـ الرءوس ـ التي تمشي على الأرض مختالة، وهـذه التيجان التي وضعت على الرءوس، واختـيال أصحـاب الجاه والسلطان، والأمراء عـلى الناس، فانظر

(١) «مدارج السالكين».

(٢) البخاري.

إليهـا وهي تهوي إلى الأرض؛ لتضع هـذه الأنف التي يختـال الناس بها، على الأرض، وهذه الجبهة التي طالما توجها أصحاب الأملاك الزائلة بالغالي والنفيس، فـانظر إليهـا وهي على الأرض عظمة وإجـلالاً لله رب العالمين، وخشية من عذابه، ورجاءً في ثوابه، ويالها من موافقة، حيث يوافق الإنسان عمل الملائكة، فقد أخبر النبي ﷺ أن السمـاء ما فيها موضع إلا وفيه ملك ساجـد أو قائم، أو راكع لله رب العالمين، فهـا أنت أيها الفقـير إلى ربك، الراجي عفـوه، تسجـد كما تسـجُدْ الملائكة، وتدعـو كما تـدعو الملائكة، وتقترب من الله ـ عز وجل ـ كما أخبر سبحانه ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]، فما بالك أيها المعرض عن السـجود، وعن الاقتراب، وآثرت ظلمات الجهل على نور الحق.

فهيا أيها الأخ الكريم! لتسـجد لله سجدة، هي أولى السجدات، ومن بعدها تواصل السـجود، والاقتـراب إلى الله ـ عز وجل ـ فـاجعل من هذه السجدة سلمًا تصعد به إلى عنان السماء، وتحلق في آفاق النور، وتنخلع من هذا القيد الذي أوثقك به الشـيطان اللعين، وتحرر من هذه النفس، واسجد واقترب.

وكان النبي ﷺ يضع يديه على الأرض قبل ركبتيه[1].

ولما كان السجـود هكذا، فقد كان رسول الله ﷺ يقـول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**» ثلاثًا.

وأيضًـا: «**اللهم! اجعل في قلبي نورًا، وفي لسـاني نورًا، واجعل في سمـعي نورًا، واجـعل في بصري نورًا، واجـعل من تحتي نورًا، واجـعل من**

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ».

فوقي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، واجعل أمامي نورًا، واجعل خلفي نورًا، واجعل في نفسي نورًا، وأعظم لي نورًا»[1].

١٥ ـ الجلسة بين السجدتين:

كان ﷺ يطيلها حتى إنها تكون أقرب من السجود في الوقت، وأحيانًا كان يمكث حتى يقول القائل : قد نسي. أي: يظن المصلي خلف النبي ﷺ أنه قد نسي أنه بين السجدتين، وأطال وكأنه في التشهد.

قال ابن قيم الجوزية:

وهذه السنة تركها الناس من بعد انقراض عصر الصحابة، وأما من حكم السنة، ولم يلتفت إلى ما خالفها، فإنه لا يعبأ بما خالف هذا الهدي.

وكان يقول في جلسته:

«رب اغفر لي، اغفر لي».

١٦ ـ التشهد:

وقد ورد التشهد بصيغ مختلفة ، وكلها وردت عن النبي ﷺ، وهو الذي كان يعلمها للصحابه. ففي التشهد الأوسط:

١ ـ عَلَّمَ النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يقول:

«التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».



(١) «صفة صلاة النبي ﷺ»

٢ ـ وعَلَّمَ ابن عباس أن يقول:

«التحيات المباركات ، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله».

وهناك من الألفاظ التي وردت على لسان عمر ، وابن عمر، وعائشة وأبي موسى الأشعري، وكلها صحيحة، وكلها بها اختلاف بسيط في اللفظ، ومعناها كله صحيح، ووارد عن النبي ﷺ.

وأما في التشهد الأخير، فيضاف عليه الصلاة الإبراهيمية:

ولها ـ أيضًا ـ صيغ كثيرة، وكلها واردة عن النبي ﷺ منها:

«اللهم! صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه، وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

ومنها:

«اللهم! صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم! بارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[1].

وهناك صيغ أخرى ، ولكن لا يتسع المقام لذكرها.

---

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ».

أما التشهد في نفسه، فما هو إلا تكريم لك أيها المسلم، فبعد أن خاطبت ربك، وأثنيت عليه، وتذللت له، وخاطبك وأنت تقرأ الفاتحة، فكان ختام الصلاة أن تسلم على سيد ولد آدم، على محمد ﷺ، فانظر إلى هذا السلام وأنت تقول: السلام عليك أيها النبي، وكأنك أحد الصحابة، وكأنك تراه رأي العين، وكأنك علمت أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا كان الله - عز وجل - ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، لذا فقد جمع الله لك خطابه، وخطاب نبيه في الصلاة، حتى يرق قلبك إلى الخضوع لله، ويميل قلبك إلى حب رسول الله، وذلك من الله فضل عليك، فقد جعلك تذكر نبيه في كل الصلوات، لعلك تستكمل الإيمان، فأفق من غفلتك أيها النائم، وصل الصلاة الصحيحة.

ثم إذا فرغ العبد من التشهد - بأي: صيغة وردت عن النبي ﷺ - فله أن يدعو كما كان رسول الله ﷺ يدعو، ويقول:

«اللهم! إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم! إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»[1].

«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[2].

فكما بدأ الصلاة بذكر ذنوبه، كي تخشع نفسه، وتنكسر، فله أن يختم الصلاة بما يذكره أن النفس ظالمة، ولا يقتصر على الاعتراف بأن

(١) البخاري (٢٣٩٧)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) متفق عليه.

النفس ظالمة فحسب، ولكن يذكر نفسه بأن الله هو الغفور الرحيم، ويسأله أن يغفر له، ويرحمه، فإنه هو الغفور الرحيم.

- **الإشارة بالإصبع في التشهد:**

كان رسول الله ﷺ يحرك إصبعه ويقول: «**لهي أشد على الشيطان من الحديد**» يعني: إصبعة السبابة[1].

١٧- التسليم:

إن التسليم له صور كثيرة، منها:

أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله (وهو ينظر عن يمينه)، ثم يقول: السلام عليكم (وهو ينظر عن يساره).

وكان ﷺ - أحيانًا - يزيد في التسليمة الأولى «وبركاته»، ولا يقولها في التسليمة الأخيرة. أي: يقولها وهو ينظر يمينًا، ولا يقولها وهو ينظر شمالاً.

وأحيانًا كان يسلم تسليمة واحدة تجاه القبلة، ويقول فيها: «**السلام عليكم**».

ونهى النبي ﷺ أن يشير المسلم بيده اليمنى عند التسليمة اليمنى، أو بيده اليسرى عند التسليمة اليسرى، فقال: «**ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟**»[2].

---

(١) روه أحمد، والبزار، والطبراني، وصححه الألباني.

(٢) مسلم.

• هل تارك الصلاة كافر؟ [1] •

إن مسألة حكم تارك الصلاة من المسائل التي تعددت فيها الأقوال، واختلف الناسُ فيها اختلافًا كبيرًا. فإليك التفصيل:

إن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فأثبت لهم إيمانًا به سبحانه مع الشرك، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤] فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم، وهو الإيمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] ، وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله، وليسوا مؤمنين وإن كان معهم جزء من الإيمان أخرجهم من الكفر.

---

(١) راجع هذا المبحث في «حكم تارك الصلاة» للإمام ابن قيم الجوزية.

قال الإمام أحمد:

من أتى هـذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن ـ يريد الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والانتهاب ـ فهو مسلم، ولا أسميه مؤمنًا، ومن أتى دون ذلك ـ يريد دون الكبائر ـ سميته مؤمنًا ناقص الإيمان.

وقد دل على هـذا قوله ﷺ: **«فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق»**[1]. فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق وإسلام، وكذلك الرياء شرك، فإذا راءى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والإسلام، وإذا حكم بغير ما أنزل الله، أو فعل ما سماه رسول الله ﷺ كفرًا وهو ملتزم بالإسلام وشرائعه فقد قام به كُفْرٌ وإسلام، وقد علمنا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان، فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الإيمان، وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمنًا، وقد لا يسمى، كما أنه قد يسمى بشعبة من شعب الكفر كافرًا، وقد لا يطلق عليه هـذا الاسم، فها هنا أمران: أمر اسمي لفظي، وأمر معنوي حكمي. فالمعنوي: هل هـذه الخصلة كفر أم لا؟ واللفظي: هل يسمى من قامت به كافرًا أم لا؟ فالأمر الأول شرعي محض، والثاني لغوي وشرعي.

من ذلك أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا ـ وإن كان ما قام به إيمانًا ـ ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافرًا ـ وإن كان ما قام به كفرًا ـ كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالمًا، ولا من معرفة بعض المسائل الفقهية والطب

(١) متفق عليه.

أن يسمى فقيهًا ولا طبيبًا، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيمانًا، وشعبة النفاق نفاقًا، وشعبة الكفر كفرًا، وقد يطلق عليه الفعل كقوله : **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»**[1]، وقوله : **«من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر»**[2]،وقوله : **«من حلف بغير الله فقد كفر»**[3]. رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ، فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرمًا: **إنه فعل فسوقًا**، وإنه فسق بذلك المحرم، ولا يلزمه اسمُ فاسقٍ إلا بغلبة ذلك عليه، وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمنًا وإن كان معه إيمان، كما أنه لا يسمى كافرًا وإن كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه، إذ المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

ومن ذلك يتبين أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يُضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعًا، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ، ولكن هو كفر عمل، لا كفر

---

(١) خرجه الترمذي (٢٦٢٣)، والحاكم (١/ ٦ ، ٧) وصححه.

(٢) «صحيح الجامع» (٥٩٣٩).

(٣) «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

اعتقـاد، ومن الممتنع أن يسمي رسول الله ﷺ تارك الصـلاة كافرًا ولا يطلق عليه اسم كافر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقـه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العـمل، وإن انتفى عنه كفر الجـحود والاعتقـاد ، وكذلك قوله : «**لا ترجعوا بعـدي كفارًا يضرب بعـضكم رقاب بعض**»[1]، فهـذا كـفر عمل، وكذلك قوله : «**إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ... فقد باء بها أحدهما**»[2].

وقد سمى الله ـ سبحانه وتعـالى ـ من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعـضه مؤمنًا بما عمل به، وكـافرًا بما ترك العمل به، فقـال تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْـهَـدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْـمَلُونَ**﴾ [البقرة: ٨٤ ـ ٨٥]، فأخبر ـ سبـحانه ـ أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهـم به والتزمـوه، وهـذا يدل على تصـديقهم به أنهم لا يقـتل بعضـهم بعضًا، ولا يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم ثم أخبر أنهم عصوا أمره، وقتل فريق منهم فريقًـا وأخرجوهم من ديارهم، فهـذا كفـرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخـبر أنهم يفدون من أسر من ذلك الفـريق، وهـذا إيمان منهم بما أخذ عليهم من الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عـملوا به من الميثاق، كافرين

---

(١) خرجه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥).

(٢) خرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

بما تركوه منـه، فالإيمان العملي يضـاده الكفر العـملي، والإيمان الاعتـقادي يضاده الكفر الاعتقـادي، وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح: «**سباب المسلم فسـوق، وقتاله كفر**»[1]، ففرق بين سبابه وقتاله، وجعل أحدهما فسوقًا لا يكفر به، والآخر كفرًا ، ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعـتقادي، وهـذا الكفـر لا يخرجه من الدائرة الإسلامـية والملة بالكلية، كما لا يخـرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهـذا التـفصـيل هو قول الصـحابة الذين هم أعلم الأمـة بكتاب الله وبالإسـلام والكفر ولوازمـهـما، فـلا تتلقى هـذه المسائل إلا عنهم، فـإن المتأخرين من العلماء لم يفهموا مرادهم فانقسموا إلى فريقين: فريق أخرجوا من الملة بالكبائـر وقضوا على أصحـابها بالخلود في النار، وفـريق جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهـؤلاء غلوا، وهـؤلاء جَفَوْا، وهدى الله أهل السنة للطريقـة المثلى والقـول الوسط الذي هو في المذاهب كـالإسـلام في الملل، فهاهـنا كفر دون كفر، ونـفاق دون نفاق، وشرك دون شـرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم.

قال سـفيان بن عيـينة، عن هشام بن جحـير، عن طاوس ، عن ابن عباس في قـوله تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]، قال: ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال: سُئل ابن عباس عن قوله: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ قال: هو

(١) متفق عليه.

بهم كفـر، وليس كمن كفـر بالله وملائكتـه وكتبـه ورسله، وقال في رواية أخرىٰ: كفر لا ينقل عن الملة.

وقال طاوس : ليس بكفر ينقل عن الملة.

وقال وكيع عن سفيان ، عن ابن جـريج، عن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فـسق. وهـٰذا الذي قالـه عطاء بيِّنٌ في القرآن لمن فهـمه، فإن الله ـ سبـحانه ـ سمىٰ الحاكم بغـير ما أنزله كافـرًا، وسمىٰ جاحد ما أنزله علىٰ رسوله كافـرًا، وليس الكافران علىٰ حد سواء ، وسمىٰ الكافر ظالمًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وسمـىٰ متـعدي حدوده فـي النكاح والطلاق والرجعـة والخلع ظالمًا فـقال: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق: ١] ، وقال نبيه يونس: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقال كليمه موسىٰ : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦] ، وليس هـٰذا الظلم مثل ذلك الظلم. والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، وفي القـرآن تسمية الكافر بالفاسق، وكذلك المؤمن العاصي فاسقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [البقرة: ٢٦ ـ ٢٧]، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]

ومن ذلك أن سَلْب الإيمان من تارك الصلاة أولىٰ من سلبه عن مرتكب الكبائر، وسلب اسم الإسلام عنه أولىٰ من سلبه عمن لم يَسْلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يُسمىٰ تارك الصلاة مسلمًا ولا مؤمنًا وإن كان معه شعبة من شعب الإسلام والإيمان.

فبذلك يتبين أن تارك الصلاة إن تركها جحودًا، فقد جمع في هذا الترك بين الكفر الاعتقادي، والكفر العملي، وإن تركها تكاسلاً ، مع إيمانه أن الله حق ، وأن الرسول حق، وأن الملائكة حق، والغيب حق، كان كافرًا كفرًا عمليًا ، وليس اعتقاديًا.

فعلى هذه الأسس التي ذكرناها كان مدار الحُكم على تارك الصلاة، فمنهم من أخذ النصوص على ظاهرها فحكم عليه بالكفر، ومنهم من فصل المسألة وأخذ بالقول بأنه كافر - أيضًا - ولكن ليس كفرًا مخرجًا عن الملة، ولكنه كفر في العمل.

لذا، كان من أدلة القائلين بأن تارك الصلاة لا يكفر:

ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[1].

وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له**»[2].

---

(١) خرجه البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨).

(٢) **صحيح**. خرجه مالك (١/ ١٤) ، وأبو داود (١٤٢٠)، والنسائي (١/ ٢٣٠)، وابن ماجة (١٤٠١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أُكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك**»، رواه أهل السنن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن.

وخرج مسلم في «صحيحه» من حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»[1].



(١) خرجه مسلم (٢٦).

• هل صلاة الجماعة واجبة ؟ •

دلت نصوص كثيرة على أن الصلاة في جماعة واجبة، نذكر منها:

قول الله - عز وجل - : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فهذا أمرٌ من الله تعالى بشهود الجماعة.

وحديث ابن أم مكتوم وهو الأعمى، الذي أتى إلى النبي ﷺ ليستأذنه في أن يتخلف عن الجماعة، وقال: يا رسول الله! إن بيني وبين المسجد نخلاً وشجرًا، فهل يسعني أن أصلي في بيتي، فقال رسول الله ﷺ: «**تسمعُ الإقامة؟**» قال: نعم، قال: «**فأتها**»(١).

وما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده! لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده! لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مِرْمَاتين حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ العشاء**»(٢).



(١) أحمد (٣/ ٤٢٣)، والحاكم (١/ ٢٤٧)، وقال: صحيح، وصحح إسناده الألباني.

(٢) البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).

• هل يقضي الإنسان ما فاته من الصلوات التي تركها عمداً ؟

إن هذه المسألة دار عليها خلاف كبير.

أدلة الذين قالوا بوجوب القضاء:

١ ـ أن رسول الله ﷺ أمر الناسي والنائم بالقضاء، وهما معذوران، فإيجاب القضاء على المفرط العاصي أولى وأحرى.

٢ ـ ولو أن الصلاة لا تصح إلا في وقتها، لما صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر يوم الخندق بعد المغرب.

٣ ـ وقد أمر رسول الله ﷺ من أفطر في رمضان بجماع زوجته أن يقضي يومًا مكانه.

أما الذين قالوا بعدم وجوب القضاء:

١ ـ أمر رسول الله ﷺ الناسي والنائم بالقضاء، ولم يأمر المتعمد، واعلم أن ربك لم يكن لينسى ذلك، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وكل شريعة لم يأت بها القرآن والسنة فهي باطل.

٢ ـ أما عن الصلاة يوم الخندق، فقد اختلف الناس فيمن أدركته الصلاة وهو مشغول بقتال العدو على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يصلي حال القتال، ولا يؤخر الصلاة.

الثاني: أنها تؤخر كما أخرها النبي ﷺ يوم الخندق.



الأخير: يخير بين تقديمها وتأخيرها على حسب حاله.

لذا ، كان حكم المقاتل غير حكم المتعمد ذلك أنه يشغله القتال، ولو صلى لقُتل، فيؤخر الصلاة إلى حين الاستطاعة، وكيف نجوي الحكم على مثل هذا الذي يقاتل في سبيل الله، ولا يجد سعة لكي يصلي، وصلاها حين انتهى من القتال، وبين الذي تكاسل عنها وتركها عمداً.

٣ - أما الصيام، فقد ورد فيه نص شرعي من رسول الله ﷺ، لذا يجب علينا أن نمتثل له.

وقال ابن حزم - رحمه الله - في «المحلى» (٢/٢٣٥):

«إن الله - تعالى - جعل لكل صلاة فرض وقتًا محدود الطرفين، يدخل في حين محدود، ويبطل في وقت محدود، فلا فرق بين من صلاها قبل وقتها، وبين من صلاها بعد وقتها؛ لأن كليهما صلى في غير الوقت، وأيضًا فإن القضاء إيجاب شرع، والشرع لا يجوز لغير الله - تعالى - على لسان رسوله ﷺ، ولو كان القضاء واجبًا على العامد لترك الصلاة حتى يخرج وقتها لما أغفل الله - تعالى - ولا رسوله ﷺ ذلك، ولا نسياه، ولا تعمدا اعناتنا بترك بيانه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ وكل شريعة لم يأت بها القرآن والسنة فهي باطل». اهـ

قلت «أبو عبد الرحمن»:

والصواب مع من قال بعدم وجوب قضاء الصلاة، ذلك أن فرض الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج كان خمسين صلاة، ثم ظل رسول الله ﷺ بين موسى وبين ربه إلى أن جعلها الله خمسة في الأداء ، وخمسين في الأجر، فكيف لنا أن نكلف رجلاً لم يصل منذ عشرين عامًا - مثلاً - بأن

يصلي الظهر، ثم يصلي ظهرًا آخـر، ثم يصلي ظهرًا آخر، فكيف ذلك وقد علم موسى ﷺ، ومحمد ﷺ أن الأمـة إذا أمرت بعشر صلوات في اليوم والليلة، وذلك بأن يـصلي الظهـر مرتـين، والعصـر مـرتين، وكل صـلاة مرتين، لما احـتملوا ذلك، فكيف بنا نثـقل عليهم بما لم يثـقل عليهم به الله ورسوله.

وشيئًا آخر وهو:

أن التوبة تهدم ما قبلها، فإن تاب توبة نصوحًا، وقبلها الله ـ عز وجل ـ فقد غفر له ما كان منه من التقصير.

وقول رسـول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبـد يوم القيامة الصلاة المكتـوبة، فـإن أتمهـا وإلا قـيل: انظروا هل له من تطوع؟ فـإن كـان له تطوع أُكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسـائر الأعمال المفروضة مثل ذلك**»، رواه أهل السنن، وقال الترمذي: هـذا حديث حسن.

من ذلك نستطيع أن نقول:

إن الله لم يفرض علينا أن نعيد الصلوات التي تركناها عمدًا.

والسؤال:

وماذا نفعل في الصلوات الفائتة؟

والجواب: أن نكثر من النوافل، والاستغـفار، وأن نتوب توبة نصوحًا لله رب العالمين، كـما في الحديث أنه يؤخـذ من تطوعه، ويوضع بدلاً عن الصلوات الفائتة.



• أخطاء في الصلاة •

١ - تعدد الجماعة في المسجد الواحد في آن واحد.

٢ - ترك الأمراء والأغنياء والميسورين المواظبة على الجماعات.

٣ - عدم تسوية الصفوف. وإغفال الإمام التنبية على ذلك.

٤ - ترك مسافات بين المصلين.

٥ - بعض المصلين يلصقون أقدامهم بأقدام من بجوارهم، ويتركون متسعًا بين أكتافهم.

٧ - بعض الناس يقدم الأكبر سنًا، ولا يقدمون الأقرأ.

٨ - الصلاة بين الأعمدة، أو قطع الصف بالأعمدة إلا إذا ضاق المسجد.

٩ - المنابر التي تقطع الصف الأول والثاني.

١٠ - اعتياد بعض الناس أن يغطي رأسه إذا أقدم على إمامة الناس.

١١ - أن يشبك المسلم أصابعه حين الخروج للصلاة.

١٢ - بعض المصلين لا يقوم إلا إذا قال المقيم: قد قامت الصلاة.

١٣ - حجز بعض المصلين مكان في المسجد لا يصلي إلا فيه.

١٤ - ابتداء صف جديد قبل إتمام الصف الذي أمامه.

١٥ - إطالة الصلاة بدرجة تشق على المصلين.

١٦ ـ تخفيف الصلاة بدرجة تخرجها عن هدي النبي ﷺ.

١٧ ـ رفع بعض المأمومين صوتهم بالقراءة أو التكبير.

١٨ ـ سبق الإمام أو مساواته.

١٩ ـ دعاء بعض المصلين عند قول الإمام ولا الضالين وقبل التأمين.

٢٠ ـ قول بعض المصلين الله أكبر بصوت عالٍ ليسمع الذين من وراءه لغير حاجة.

٢١ ـ إذا دخل بعض المصلين المسجد ووجدوا الإمام ساجدًا انتظروا إلى أن ينتهي من الركعة، ولم يدخلوا في الصلاة مباشرة.

٢٢ ـ الانشغال بالعمل عن الصلاة.

٢٣ ـ الخروج من المسجد عقب الأذان لغير حاجة ضرورية.

٢٤ ـ إقامة المؤذن للصلاة بغير إذن الإمام.

٢٥ ـ الانشغال بصلاة النافلة ـ أي: السنة ـ وقد أقيمت الصلاة.

٢٦ ـ تطويل الركعة الثانية عن الأولى، ولكن الصحيح تطويل الأولى وتخفيف الثانية عنها.

٢٧ ـ منع الرجال نساءهم من شهود الجماعة.

٢٨ ـ حضور النساء للصلاة وهن متطيبات.

٢٩ ـ اختلاط الرجال والنساء عند الدخول أو الخروج من المسجد.

٣٠ ـ صلاة النساء في صفوف بجانب صفوف الرجال.

٣١ ـ حضور الجماعة لمن أكل ثومًا أو بصلاً أو أي شيء له رائحة كريهة كالسجائر.



٣٢ ـ ترك الطعام إذا أُعد وقت الصلاة، فإن كانت نفسه مشتاقة إليه أكل أولاً، ثم صلى، وإن كان الأولى عدم تجهيز الطعام وقت الصلاة.

٣٣ ـ الصلاة في المسجد الذي به قبر أو كما يقولون: ضريح.

٣٤ ـ الصلاة خلف الإمام الحليق إذا وُجد من هو ملتزم بمظهر السنة.

٣٥ ـ الصلاة مع حبسه البول أو الغائط.

٣٦ ـ صلاة الرجل في الصف منفردًا.

٣٧ ـ تأخير المأموم عن الإمام إذا كانا اثنين فقط.

٣٨ ـ قول: ربنا لك الحمد والشكر، والصواب عدم ذكر الشكر هنا.

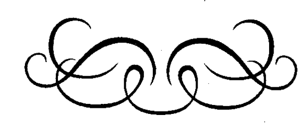
٣٩ ـ الجهر بالنية في الصلاة، أي: كأن يقول: نويت أصلي الظهر أربع ركعات.

٤٠ ـ مد الصوت عند الجلوس للتشهد الأخير.

٤١ ـ ختم الصلاة بطريقة جماعية.

٤٢ ـ مصافحة المصلين بعضهم البعض عقب الصلاة، ولكن الصحيح هو التصافح بعد الخروج من المسجد.

٤٣ ـ القراءة من المقرأة ـ التي يوضع عليها المصحف ـ في الصلوات، ولكن يجب أن يؤم الإمام القوم من حفظه.





الفهرست

مطابع الحرية
المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧